

المسحاة

١٣١٥

﴿مصر في يوم السبت ٢١ رمضان سنة ١٣١٧* ٢٧ يناير (كانون ٢) سنة ١٩٠٠﴾

﴿ازكاة والتمدن﴾

٢

بيننا في مقالة المنار الماضي ان الزكاة ركن من أركان الدين والمدنية وفضيلة من اكمل الفضائل الانسانية وان تاركها بعيد من الدين والتمدن والانسانية جميعا ودحضنا شبهة الخثالين في منها من المتدينين وندحض في هذه المقالة شبهة من يذمها أو يذم السخاء من المتمدنين فنقول

من الافرنج طائفة تدم السخاء والبذل محتجة بان اعطاء المال بدون مقابلة عمل يمدم الناس البطالة والكسل والاعتماد على الناس دون أنفسهم في قضاء حاجهم والوصول الى مطالبهم ويكثر فيهم التسول والشحاذة وما فشت هذه الاخلاق والسجاييا في أمة الا ورمتها بالفقر والفاقة والذل والمهانة وجعلتها ورء الامم كلها. وأنت ترى ان حجة هؤلاء ناهضة قوية ولذلك فشت أفكارهم في أوروبا فجعلت قلوب أهلها قاسية على بني جنسهم لا يرحمون فقيراً ولا يواسون محتاجاً حتى قيل ان الفقراء يموتون جوعاً في أسواق أغنى مدائن الارض كلوندره ولا يرق لهم أحد. واذا عدل عقلاؤهم أو فلاسفتهم في هذه المساواة الوحشية يقولون ان موت بعض الافراد أخف ضرراً على

المدينة من فشو الامراض الروحية التي تولد من البذل ومواساة هؤلاء المحتاجين وهي اذكرناه انما هذا ملخص مذهب هؤلاء ونحن نجيب عنه بالنسبة لازكاة الشرعية من وجوه

(١) يعارض مفسد البذل المذكورة مفسد أعظم منها ضررا في المدنية وأشد خطرا على الانسانية وهي مفسد الاشتراكية والنموضوية التي ليس لها منشأ الا عدم رضى الاشتراكيين بجعل المال دولة بين الاغنياء بحيث يقاسي المواد الاعظم من أبناء الانسان متاعب الفقر وشقاء العوز حتى يموت الكثير منهم جوعا ويتمتع المدد الاقل بجميع صنوف النعم ويستعبد سائر المالمين بل يحبس في سجون من الحديد (صناديق الاموال) جيوش الدراهم والدنانير بمنعها بذلك عن صدقات ناروات جيوش الفقر والفاقة التي تفنك بالنوع البشري أشد الفتنك اما بنفسها واما بما يتبناها من جيوش هرايم الامراض والابوثة الخفية التي لا يدافع جاتها الا بجنان من الذهب أو النضة (*) وليس فقر كل الفقراء وعوز عم من كسلهم وبطالتهم فترد في حقهم شبهة مانعي البذل وذامي السخاء ولكن استمداد أفراد الانسان متفاوت والبيئة التي يعيش فيها والقوم الذين يربى بينهم الاثر الاكبر في أخلاقه ومعارفه التي هي مناشئ أعماله الكسبية وغيرها ، وجعلنا بعضكم لبعض فنة أصبرون وكان ربك قديرا ، فالله تعالى يتلى الفنى بالنقير والنقير بالفنى كما يتمتع القوي بالضعيف وبالمكس على نحو ما بيناه في المقالة السابقة وبسطة الرزق تكاد تكرون بالحظ والجدا أكثر مما هي بالحيلة والكد

(*) الجن اسم جمع للجن وهو كل ما استتر عن الحواس كالملائكة والشياطين

ومنه ميكروب الامراض والجنان بالضم الترس

يشقى أناس ويشقى آخرون بهم
وليس رزق الفتى من فضل حيلته
كالصيد محرمة الرامي الجيد وقد
يرمي فيحترزه من ليس بالرامي

وما أنا من يقول بالجد والحظ على اطلاقه الذي يطوف في الاذهان .
ويجري على كل لسان . بل أقول لكل شيء سبب . وللإنسان ماسعى وكسب .
ولها ما كسبت وعليها ما كتسبت ، ولكن طرق الكسب والثروة منها
ما يعرفه الانسان ومنها ما يجمله وبعض ما يعرفه يمكن ان يناله بسعيه وبعضه
يعلو عن تناول السعي ويتعاضى على الكسب . ولا تكون طبقات الناس أو
أفرادهم متقاربين في معرفة الاسباب والتمكن منها الا اذا أمكن توحيد
التربية والتعليم وتمييزها في العالم الانساني كله وما أبعدها غاية وأقصاها
رغبة !! فظهر بهذا علة اختلاف الناس المشهود في المعارف والسجاياء والاعمال
والمكاسب اجمالا (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) وظهر به وبما قبله
ان للاشتراكين بعض المذر في القيام على الاغنياء الذين لا يجملون في
أموالهم حقا معلوما للبائس الفقير والمعجز الضعيف الذين ليس لهم ما يكفيهم
وان ينهي بهم الامر الى القيام على الحكومة التي لا تلزم الناس بالمساواة
الزائما كما هو شأن القوضويين . نعم ان القوم أفرطوا فخابوا ومن الاعتدال
ان يطالبوا بالمساواة بدلا من المساواة التي لا سبيل اليها . ويعلم المتمدون من
المسلمين ان حكماء أوروبا وحكامها في حيرة من تلافي شرور الاشتراكين
والقوضويين ومعالجة هذا الداء الاجتماعي الدوي وما علاجه الا الدين
الاسلامي الذي يفرض الزكاة ويمح على المساواة ويفرض على الآخذين به
ان يرضوا بما قسم الله لهم بمد السعي بحسب الطاقة

(٢) ان فضلاء الاوربيين وعقلاءهم الذين لم ينسلخوا من ازايا الانسانية الجميلة ولم يحرموا من الشفقة والرافة على أبناء جنسهم بالمرّة قد خصصوا جزءاً من أموالهم لبناء المستشفيات لمعالجة مرضى الفقراء وغير ذلك من أعمال البر ولولا هؤلاء لكانت المدينة الاوربية شر مدينة أخرجت للناس ولكان غلو الاشتراكيين والفوضويين تجاوز الحدود فدمرها شر تدمير. وجعل مصيرها بش المصير. واننا نرى اللابسين لباس المدينة الاوربية من المسامين لا يبدلون شيئاً من فضول أموالهم على اعمال البر التي ينفق عليها الاوربيون كالمستشفيات والمدارس والمكاتب وانشيط المخترعين والمكتشفين - حرّموا فضائل المشرقين واستأثروا برذائل المغربين (ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون)

(٣) اذا كان السويليون من الافرنج يقبّحون ايتاء الفقراء والمساكين العاجزين عن كسب يكفيهم فلا ينبغي ان يلتفت الى قولهم لان احتجاجهم بتعليم الناس البطالة والكسل انما يأتي اذا كانت الشريعة تمطي من يقدر على الكسب ولا يكتب اخلادا الى الكسل والبطالة واعتمادا على اوساخ الناس ولكن الشريعة تمنع اعطاء مثل هذا كما تمنع اعطاء العاجز فوق كفايته وتسمي من يقدر على كسب يكتنيه غنياً ولذا قال الامام النزالي كفيره (وقد لا يملك الا فأساً وحبلاً وهونخي) وجبت أيضاً في حكم الغني كل فقير عاجز له قريب يمونه وينفق عليه ومع هذا كله حرمت السؤال والشجادة على غير المضطر واعتبرت أموال الزكاة والصدقات من اوساخ الناس وقال النبي عليه الصلاة والسلام (اليد اليا خير من اليد المنبلي)

فقد رأيت ان هذا الدين القويم فرعون لا شره والمساكين ما فرض من مال الزكاة مع أشد الاحتراس من مصادر ما ينادي الانسان على غير كسبه

ونشأ نبي عمه . ومن ذلك انها حرمت الصدقة على آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لانهم ينبغي ان يكونوا قدوة للناس في شرف النفس وعزتها وما أكل أوساخ الناس الاذل وصغار . وقد غفل المسلمون لاسيا الغالون في تعظيم أهل البيت عن هذا فأغدقوا عليهم الانعام حتى جعلوهم عالة على الناس في عامة شؤونهم وأفسدوا أخلاق الجم الغفير منهم

(ع) اذا فرضنا ان للسويليين وجهاً في منع اعطاء النقيير والمسكين ومن في معناهما كالفارم وابن السبيل مطلقاً فهل نقول ان لهم وجهاً في منع تجهيز المطاوعين لحماية البلاد ودفع الاعداء عنها ومنع فك الرقاب من العبودية أو الامر ؟ كلا اننا لم نسمع ان أحداً في أوروبا يذم هذه المصارف بل تراهم يجمعون الاموال الطائلة لتنفق في هذه الوجوه . وقد جعلوا السعي في تحرير الارقاء ركناً من أركان التمدن بل وجعلوه عملاً مخصوصاً من أهم أعمال الحكومة وخلاصة القول وزبدته ان الزكاة ركن من أهم أركان الدين والمدنية الحققة وانه ليس في شيء من مصارفه الثمانية مخمز انماز ولا مضرة تخشى مغبتها وان هؤلاء المسلمين الجذرافيين الذين يمنعونها لروح البخل والشح الخبيث الذي لا بس نفوسهم الشريرة ماشموا رائحة التمدن الحقيقي ولا امتنشقوا عرف الاسلام العطار ويوشك ان يجيء يوم من الايام تهدي فيه الاوربيين معارفهم الاجتماعية الى اقامة هذا الركن المدني الركين ثم اقامة غيره من اركان الاسلام فيضطر المقلدون لهم في مساويهم من متمديننا الى تقليدنا في المحاسن والفضائل التي يأخذونها من دينهم فانهم اصغر نفوسهم لا يكونون الا مقلدين و (لكل نبياً مستقر وسوف تعلمون)

